خطبة : مدرسة الصيام

الخطيب: يحيى سليمان العقيلي

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي جَعَلَ شَهْرَ رَمَضَانَ مَوْسِماً لِلطَّاعَاتِ, وَأَفَاضَ عَلَى الصَّائِمِينَ نَعِيمَ الرِّضْوَانِ وَالنَّفَحَاتِ, وَأَشْهَدُ أَنْ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ شَرَعَ الصَّوْمَ صِحَّةً لِلأَبْدَانِ وَالأَرْوَاحِ, وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ هَدَى أُمَّتَهُ لِطَرِيقِ الْبِرِّ وَالْفَلاَحِ, اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أُولِي التُّقَى وَالنُّهَى, وَعَلَى مَنْ سَارَ عَلَى طَرِيقِهِمْ وَاقْتَفَى, وَسلِّمْ تَسْلِيمًا كثيرا .. أما بعد ،

فاتقوا الله عباد الله فأنتم في مدرسة التقوى والإيمان

 " شهر رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ۚ " فتزودوا من التقوى عباد الله

"وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتفون ياأولي الألباب "

معاشر المؤمنين

نجدد شكرنا لله تعالى أن بلغنا شهر رمضان شهر الرحمات والبركات

ومما ينبغي أن يفقهه المسلمُ أنّ العبادات في الإسلام لها آثار سلوكية ونفسية وإجتماعية ، فضلا عما يناله العبد من الأجر والمثوبة والرضوان ،

فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ،،

والزكاة طهرة للنفس من الشح ،،

والحج لا رفث فيه ولافسوق ولاجدال ،،

فإذا ماجمع المرء بين إتمام الأداء للعبادة : من إخلاص النية وصلاح العمل وسلامة الأداء ، وأتمّها بإكتساب الأثار السلوكية و الأخلاقية والاجتماعية فقد إستكمل جوانب الخير .

وحديثنا اليوم عباد الله عن مدرسة الصيام في رمضان ، ومالذي ينبغي للمسلم أن يكتسبه فيها من آثار نفسية جميلة، وقيم أخلاقية سامية ، وأثار إجتماعية نافعة ، وإلا أصبح الصيام حرمانٌ من الطعام والشراب فقط ، وهذا مما حذّر منه المصطفى صلى الله عليه وسلم (( ربَّ صائم ليس له من صيامه إلا الجوع) .حديثٌ يربي المسلم على تحقيق غايات العبادات وعدم الوقوف على مظاهرها ، فالجوع ليس من مقاصد الشرع ، أما الصيام فهو عبادة تزكي النفس وتطّهر الفؤاد وتسمو بالروح ،

فما الذي ينبغي أن يحققه الصائم في هذا الشهر من غايات سامية وثمرات جليلة ؟

انها تلك الاثار النافعة على عقيدة المرء وإيمانه ،وعلى قلبه ووجدانه ،وعلى سلوكه وأخلاقه ،وعلى مجتمعه وأمّته.

ففرصةُ التغيير للأحسن في رمضان عظيمة ، فالشياطين مقيدة ، والنفوس على الخير مقبلة ، والقلوب طاهرة ، والصيام جنّةٌ ووقاية ، وتلاوة القرآن تزكّي الروح وتسمو بها ،

وأول هذه الدروس والآثار : إكتساب تقوى الله تعالى ، فهي غاية الصيام المرتجاة وثمرته المبتغاه كما قال تعالى "-: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُكَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: 183]، والتقوى هي «العمل بطاعة الله إيماناً واحتساباً، أمراًونهياً؛ فيفعل ما أُمر به إيماناً بالأمر وتصديقاً بوعده، ويترك ما نُهي عنه إيماناً بالنهي وخوفاً من وعيده» .

وبإكتساب التقوى تعظم مراقبة الله في نفس العبد " إن الذين اتقوا إذا مسّهم طائف من الشيطان تذّكروا فإذا هم مبصرون "

ومن اثار ومنافع الصوم على القلب والنفس -عباد الله- أن فيه انكسارٌ للنفس وخشوعٌ في القلب ،لما يُحدثه حرمانُ النفس عن شهواتها من سموٍّ روحي وطهارةٍ قلبية ، وخشوعٍ وخضوع بين يدي الله تعالى ، وحينها يسلٓم القلبُ من آفات الحقد والغلّ، وسيئات الكبر والبطَر ، كما يربي الصومُ مراقبةَ الله في قلب الصائم ،فتزكو النفس عن الشهوات المحرمة، بعد أن الفَت ترك المحظورات الحلال ، استجابةً لأمر الله وهذا هو سرّ التقوى المكتسبة .

 قال العلامة البيضاوي( ت 685هـ): ” ليس المقصود من شرعية الصوم نفس الجوع والعطش بل ما يتبعه من كسر الشهوات وتطويع النفس الأمارة للنفس المطمئنة" ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الصيام جُنَّة»(البخاري). ولأحمد: «جُنَّة وحصنٌ حصين من النار»[فتح الباري) قال ابن العربي: «إنما كان الصوم جنة من النار؛ لأنه إمساك

عن الشهوات، والنار محفوفةبالشهوات»[فتح الباري]،

وفي الصيام عباد الله يعتاد المسلم على الإلتزام والإنضباط الذي هو أساس صلاح المرء

فعند لحظة معينة يمتنع المسلم عن أكلِ وشربِ ماكان حلالا قبل لحظة، تحقيقا لاتزامه بشرع الله تعالى،

مما يؤدي لإكتساب الخصال الحسنة وترك العادات السيئة ، ويقوّي الإرادة ويعين المسلم للتغيير للافضل ،و يعوّده أن يكون منضبطا في كل سلوكياته، فمواعيد الامساك والافطار محددة لايتأخر عنها المرء ولايتقدم ، ومحظورات الصيام ومفطراته معلومة يتحرى المرء اجتنابها في رمضان ،

 كما تكون الحساسية الايمانية عاليةً تجاه آفاتِ اللسان وخائنةِ الاعين ، طوال الشهر ممايعودّه على هجر المعاصي والتزام الطاعات.. فهو لإجتناب الحرام بعد رمضان أحرى وأجدر ، وعندها تقوى لديه إرادة فعل الخير وترك الشر ، وهذه بذرةُ تحققِ الاستقامة التي هي سبيل الفلاح

قال تعالى إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (30)

وفي الحديث القدسي

"الصوم لي وأنا أجزي به" دليل على أن الصيام يربي الاخلاص في قلب المسلم ، ومنه يتعامل المسلم في عباداته وأنشطته الاجتماعية بإخلاصٍ وصدق .

معاشر المؤمنين

ومن الاثار السلوكية الحميدة للصوم انه تربية اخلاقية على خصال الامانة والصدق ،والعفة وسلامة الصدر على المسلمين ، قال صلى الله عليه وسل من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه" (البخاري)

الصيام والقيام إيمانا وإحتسابا يثمران المغفرة ، وهذا يحفز على الصلاح  "إن تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه  نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما "

والصيام يربي المسلم على الصبر

والصبر نصف الايمان  وهو قوة الارادة ودليل سيطرة الانسان على ذاته ،وهو من أقوى الاخلاق التي يكتسبها المسلم في رمضان ، يصبر الصائم على طاعة الله ويصبر عن معصية الله ويصبر عن أذى الخلق ، فلايبادلهم الاساءة، قال صلى الله عليه وسلم  (( إذا كان يومُ صومِ أحدكم فلا يرفثْ ولا يصخب ،وإن شاتمهُ أحد أو قاتلهُ فليقلْ: إنِّي صائم)(متفق عليه)

نسأل الله تعالى كما بلغنا بفضله رمضان أن يختم لنا فيه بخاتمة الرحمة والغفران والقبول والرضوان ، انه الكريم المنان ، اقول ماتسمعون واستغفر الله لي ولكم فاستغفروه انه هو الغفور الرحيم

معاشر المؤمنين

 ومن آثار الصيام الاجتماعية شيوع الرحمة والرأفة بين المسلمين ،  والاحسان في رمضان يعزز التراحم بين المسلمين ، والأمةُ أحوجُ ماتكون اليه اليوم ،ويتمثل ذلك بالاقبال على الصدقات والتسابق للخيرات وتفقد المحتاجين ، كما يعزز رمضانُ الشعورَ بوحدة الأمة لدى المسلمين ، يصوم المسلمون في مشارق الارض ومغاربها تحقيقا لقوله تعالى " وإن هذه أمتكم أمةً واحدة وأنا ربكم فاتقون "

 عباد الله هذا الشهر المبارك مدرسة للخير والبر والخلق الحسن،وبذلك تتحقق غاياته السامية وتنال ثمراته اليانعة في الحياة ، ويرتجى بذلك نيل رضوان الله ورحمته ، والفوز بمغفرته وجناته .